الفصل الثاني

الإباضية في المغرب العربي والعوامل التي ساعدت على انتشارها

- تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب من أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى بداية الظهور العسكري للصفرية على مسرح الأحداث.
- ملائمة الأفكار والمبادئ التي نادت بها الإباضية.
- الرابطة القبلية والمستوى العلمي للدعاء.
- جغرافية جبل "نفوسة".

obeikan.com

obeikan.com

يعد انتشار الدعوة الإباضية في المغرب أكثر وضوحاً، حيث توفرت لدينا قائمة بأسماء (حملة العلم) [١]، الذين توجهوا من المغرب إلى البصرة وعودتهم.

أما الجذور الأولى لدخول الدعوة الإباضية للمغرب فكانت على يد سلمة بن سعد الحضرمي الذي يعد أول شخصية مقترنة بالدعوة الإباضية في المغرب[٢]، إذ ارتحل إليها ما بين سنة ١٠٥هـ/ ٧٣٢م إلى سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م، وذلك حسب ما حدده ابن خلكان[٣]، بوفاة عكرمة مولى ابن عباس – رضي الله عنه- الذي توجه إلى المغرب مع سلمة لنشر الدعوة الصفرية فيها. وذكر أيضاً أن الدعوة الإباضية قد دخلت المغرب منذ أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، برحيل سلمة إليها بعد سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م. حيث استقر في اقليم طرابلس فترة من الزمن واستطاع خلالها نشر الدعوة الإباضية في جبل "نفوسة" وقد ساعده في ذلك حماسه الشديد، إذ يقول: "وددت أن يظهر هذا الأمر بالمغرب يوماً واحداً من الغدو إلى الليل، فما أبالي إن ضربت عنقي "[٤].

(١) يقصد بحملة العلم الدعاة، وهم: إسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي، وعاصم السدراتي، وعبد الرحمن بن رستم، وأنضم إليهم قبل عودتهم للمغرب أبي الخطاب المعافري. أبو زكريا: سير الأئمة، ص٣٥. الشماخي: السير، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) الشماخي: السير، ج١، ص٩٠، ٩١، ١١٣.

(٣) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن، ج٣، ص٢٦٦، تحقيق/ احسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان (د.ط) (د.ت).

(٤) الباروني،سليمان باشا: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج٢، ص٣٥. تحقيق/ محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط – عُمان،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،(د.ط).

أما بالنسبة لتحديد الفترة الزمنية التي بدأت فيها الإباضية بالتواجد في المغرب، بحسب المصادر التاريخية الأخرى، فإن إبن حوقل[١] يحدد وجود الخوارج في جبل "نفوسة" بفترة ما بعد انهزامهم في معركة "النهروان". أما ابن خلدون[٢] فيورد أن الأفكار الخارجية دخلت المغرب عن طريق الفاتحين العرب.

أما الإباضية فتؤكد أن الجذور التاريخية الأولى لدخول الدعوة الإباضية للمغرب كان في زمن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عندما تزعم التنظيم الإباضي بعد وفاة جابر بن زيد[٣]. إذ وسع دائرة التنظيم عن طريق ارسال "الدعاة" لنشر الدعوة الإباضية في الأمصار، من أمثال سلمة بن سعد، وبعد ذلك "حملة العلم الخمسة". وهذا لا يعني أن جابر بن زيد لم يرسل دعاة، بل أرسل عدة منهم، من أمثال: الداعية يزيد بن يسار، والداعية مالك بن أسيد اللذين كان مركز نشاطهما عُمان، والداعية عنيفة في خراسان[٤]. لهذا استطاع جابر أن يمهد لأبي عبيدة نشر الدعوة الإباضية في هذين المصرين. بالإضافة إلى أن أبا عبيدة قد اتبع أسلوب جابر، بالاهتمام بالدعاة من الناحية العلمية والفقهية والسياسية[٥]. وكان أغلب هؤلاء الدعاة لا ينتمون للأمصار التي

(١) ابن حوقل، أبو القاسم التجيبي النصيبي (ت بعد ٣٣٦هـ/٩٤٧م): صورة الأرض، ق١، ص٩٥، ط٢، ١٣٥٨هـ/١٩٣٨م، مطبعة بريل، ليدن.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص٢٢٠، ج٧، ص٢٣. دار الكتب اللبناني، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت).

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص٥. "المحقق".

(٤)ابي داود: الإمام جابر بن زيد،ص ١١٣،١٠٦.

(٥) المرجع نفسه، ص٢١٩.

توجهوا إليها، فسلمة بن سعد الحضرمي وأبي الخطاب المعافري من اليمن، وكانت دعوتها في المغرب[١]، ومحبوب بن رحيل القرشي في خراسان. وبالرغم من ذلك، فإن حنكة أبي عبيدة في اختيار الأشخاص والمناطق أثراً كبيراً في نجاح مساعي الدعاة في نشر الدعوة الإباضية؛ إذ انتشرت في كثير من الأمصار، منها اليمن[٢]، وخراسان[٣]، وعُمان، والحجاز[٤]، ومصر، إذ تواجدوا فيها، منذ وقت مبكر من سنة ٩١هـ/٧٠٩م في ولاية قرة بن شريك، الذي يروى عنه، بأن "الشراة" –الإباضية– بالاسكندرية قد تعاقدوا على

(١) لم نعثر على ترجمة لسلمة بن سعد الحضرمي في المصادر التي اطلعنا عليها حول انتمائه الى منطقة حضرموت بعكس أبي الخطاب المعافري التي اسهبت المصادر الإباضية في ترجمته لانتمائه لقبيلة المعافر اليمنية. أبو زكريا: سير الأئمة، ص٣٥. الشماخي: السير، ج١، ص١١٣. السيابي: إزالة الوعثاء، ص٣٨. الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٧٧. الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) تاريخ الموصل، ج١، ص٢٦٦،٢٦٢، تحقيق/ أحمد عبدالله محمود، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان. الحضرمي، الإمام إبراهيم بن قيس الهمداني (كان حياً في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي): ديوان الإمام الحضرمي المعروف بـ(سيف النقاد)، ص٢٨٣، قصيدة رقم ٣١، تحقيق/ بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، روى – سلطنة عُمان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، (د.ط). الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: اليمن في عيون الرحالة، ص٣١، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، دار الفكر، دمشق– سوريا.

(٣)الحضرمي، الإمام إبراهيم بن قيس الهمداني (كان حياً في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي): مختصر الخصال، ص٣١، ٣٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط–عُمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، (د.ط).

(٤) الشاطري، محمد بن أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، ص١٢٦، ١٢٧، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، دار المهاجر، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية.

الفتك به لظلمه[١]. إضافة إلى أن والي مصر غوث بن سليمان اُتهم بمراسلة أبي الخطاب المعافري، فأمر المنصور يزيد بن حاتم أن يحبس غوث بن سليمان. ولهذا ظهر في مصر في فترة الدراسة العديد من علماء الإباضية[٢].

وبهذا يمكننا تحديد الفترة الزمنية لدخول الدعوة الإباضية للمغرب بأواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أي فترة إرسال أبو عبيدة بن مسلم لسلمه بن سعد إليها. ذلك أنه بعد هذه الفترة انتشرت الدعوة في جبل "نفوسة" في إقليم طرابلس، واستطاع سلمة اجتذاب عدداً كبيراً من البربر، من أشهرهم ابن مغطير النفوسي الذي تبعه عدد من البربر بمختلف انتماءاتهم القبلية، ومن أشهرهم "حملة العلم الخمسة".

وعليه يمكننا القول أن أبا عبيدة مسلم قد اختار المنطقة والشخص المناسبين لنشر الدعوة الإباضية في المغرب، مما ساعد في بذر البذور الأولى للدعوة. وإلى جانب حنكة أبي عبيدة في الاختيار، هناك عوامل ساعدت في تسهيل مهمة سلمة لنشر الدعوة في أواسط البربر والعرب.

(١) الكندي، أبو عمر بن يوسف (ت٣٥٠هـ/٣٦٧م): الولاة والقضاة، ص٦٤، مكتبة المثنى، بغداد- العراق، (د.ط) (د.ت). ابن إياس، محمد بن احمد بن إياس الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م). بدئع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص١٢٦، تحقيق/ محمد مصطفى، احياء الكتب العربية، القاهرة-مصر، ١٣٩٥هـ/١٩٩٥م، (د.ط)

(٢) الباروني، أبو الربيع سليمان: مختصر تاريخ الإباضية ، ص٣٩، (د.ط)،(د.ت)،(د.م)، انظر: الصلات الثقافية الخارجية في الفصل الرابع من الدراسة.

العامل الأول: أوضاع بلاد المغرب العربي من أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، إلى بداية الظهور العسكري السياسي للبربر على مسرح الأحداث سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م.

كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية سيئة في أواخر القرن الأول حتى الربع الأول من القرن الثاني الهجريين/السابع والثامن الميلاديين، مما ساهم في انتشار الدعوة الإباضية وغيرها من الدعوات، مثل الصفرية، والعلوية في صفوف العرب والبربر. ذلك أن خضوع المغرب بصورة متتابعة لولاة متعسفين، جل تفكيرهم وشغلهم تصفية نفوذ الوالي الذي قبله بسبب الخصومات القبلية بين اليمنية والقيسية التي شكلت الملامح الرئيسية الغالبة لسياسة الولاة في المغرب إن كان في توزيع أماكن استقرارهم أو إيثار بعض الولاة في تولية بعض عمالهم من قبائلهم على الأقاليم[١]، سواء في المغرب أو الأندلس[٢]. أدى بدوره إلى انتشار الفوضى السياسية. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الخلافة الأموية؛ لم تعمل على إيقاف تلك النزاعات، لكي تضمن الاستقرار وولاء الجند لها[٣].

---

(١) الملصي، أحمد عبدالله محمد: دور القبائل اليمنية في الحياة السياسية في بلاد المغرب منذ الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية (٢١-٣٠٥هـ/٦٤١-٩١٦م)، ص١٥٩، كلية الآداب، أسيوط-مصر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) مجهول: أخبار مجموعة فتح الأندلس وذكر أرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص٢٤، ٢٥، مطبعة بدينر، مجريط – مدريد- اسبانيا، ١٢٨٣هـ/١٨٦٧م، (د.ط). ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٢م): الالبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص٧٤، ٥١، ج٢، ص٢٧، تحقيق/ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (د.ط) (د.ت).

(٣) محمود إسماعيل: الحركات السرية في الإسلام "رؤية عصرية"، ص٢٣، دار القلم، بيروت – لبنان، (د.ط) (د.ت). الملصي: دور القبائل، ص١٥٩.

وحتى لا تثير حقد القبائل اليمنية أو القيسية عليها، وبالتحديد القبائل اليمنية؛ لأن أكثر الفاتحين لبلاد المغرب كانوا منهم. بالإضافة إلى رغبتها في دعم سلطانها وصرف القبائل العربية عن معارضة الحكم الأموي[١]، وهذا ما جعل والي مصر عبيدالله بن الحبحاب يطلب من الخليفة هشام بن عبد الملك السماح للقبائل القيسية بالهجرة إلى مصر لإيجاد توازن بينهم وبين القبائل اليمنية[٢]، وهذا يدل على عصبيته للقيسية ورغبة الخليفة في إيجاد ذلك التوازن.

ولما كان أكثر الفاتحين من اليمنيين فقد جرت عادتهم غالباً على التزام الهدوء حتى يكون ولاتهم منهم[٣]، ونلاحظ ذلك عندما قتل يزيد بن مسلم والي المغرب سنة (١٠٣هـ/٧٢١م) على يد حرسه الذين كانوا حرس محمد بن يزيد القيسي، لم يثوروا على الخليفة احتجاجاً على سوء معاملتهم من قبل الولاة بل التزموا الهدوء، وهذا ما جعل الخليفة يزيد بن عبد الملك يعين بشر بن صفوان الكلبي والياً على المغرب، على الرغم من ميوله للقيسية[٤].

ولهذا كانت المغرب مسرحاً للصراع القبلي، ولم تكتف بذلك فقد رافقها تجاوزات اقتصادية واجتماعية تمثلت في تعسف بعض الولاة لرغبتهم في إرضاء

(١) محمد محمود عبد القادر الخطيب: الحياة السياسية في المغرب الإسلامي وآثارها في نشأة الدويلات خلال القرن الثاني الهجري، ص١٢٠، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة-مصر.

(٢) الملصي: دور القبائل، ص١٧٦، هامش٤ نقلاً عن رجب محمد عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب، ص٤٢.

(٣) محمد عيسى الحريري: مقدمة البناء السياسي للمغرب الإسلامي "الدولة الرستمية" ١٦٠هـ-٢٩٦هـ، ص٥١، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار القلم، الكويت.

(٤) انظر: تعيين بشر بن صفوان في هذا الفصل من الدراسة.

الخلافة، وما يؤكد ذلك رواية ابن عذاري[١]: "وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريات السينات. فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة". وسنبدأ بذكر الولاة ودور بعضهم في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب حتى بداية ثورة البربر سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م.

موسى بن نصير (٨٦هـ/٧٠٥م-٩٥هـ/٧١٣م) [٢]:

موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، تولى ولاية إفريقية -القيروان-، وسرعان ما استطاع الاستيلاء على بقية المغرب[٣] والأندلس وإخضاعهما لسلطة الخلافة الأموية[٤]، بمساندة العنصر اليمني؛ لهذا قربهم منه على حساب القيسية[٥]. فكان لليمنيين مكانة مرموقة. أما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء ولايته فقد كانت سيئة؛ إذ وردت عدة روايات تذكر

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥٢.

(٢) هناك اختلاف عن السنة التي تولى فيه موسة بن نصير ولاية أفريقية، فمنهم من يرجعها إلى سنة ٧٨هـ و سنة٧٩هـ إضافة إلى سنة ٨٣هـ، و٨٥هـ، وقيل سنة ٨٨هـ، وسنة٨٩هـ. انظر: ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص٢٠٣.

(٣) نقصد هنا، المغرب الأقصى؛ لأن حسان بن النعمان، استطاع إخضاع إفريقية والمغرب الأوسط، لهذا وقع على كاهل موسى بن نصير إخضاع المغرب الأقصى "طنجة" وأخضع بعض القبائل التي خرجت بعد عزل حسان بن نعمان، فعمل على إخضاعها. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٥٣٩، ٥٤٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٣.

(٥) محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص٢٨، دار العودة، بيروت-لبنان، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، (د.ط).

الأعداد الخيالية من السبي والأسرى، فقد سبى وأسر من حملة طبنة وصنهاجة عشرين ألفاً[١]، ووصلت في بعض المدن إلى مائة الف[٢]، ناهيك عن مسألة الأموال[٣] التي أصبحت نقمة على آل موسى بن نصير وأنصارهم من العرب والبربر.

محمد بن يزيد (٩٧هـ/٧١٥م-٩٩هـ/٧١٧م):

محمدبن يزيد القرشي ولاه سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ/٧١٧م) ولاية إفريقية-القيروان-، فوصل مقر ولايته سنة ٩٧هـ/٧١٦م[٤]. ووصف ابن

(١) ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارهم، ص٤٤، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٤. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٠، ٤١.

(٣) ابن الرقيق، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(توفي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي): تاريخ إفريقية، ص٥٨، تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، الفرجاني، القاهرة-مصر. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٥٨.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن يعفر بن وهب بن واضح المكاتب العباسي المعروف بـ(اليعقوبي) (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٩٤، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، (د.ط). ابن القوطية، محمد بن عمر عبد العزيز بن إبراهيم الأندلسي الإشبيلي (ت٣٦٧هـ/٩٨٦م): تاريخ افتتاح الأندلس متبوعاً بقصة فتح الأندلس لابن قتيبة وأخبار الفتح من الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية، ص٧٨، ٧٩، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان. السلاوي، أحمد بن خالد الناصري المعروف بـ(السلاوي) (ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٧م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص١٥٦، تحقيق/ أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط).

عذاري[١] بداية ولايته بأحسن سيرة وأعدلها، ثم وصلته الأوامر من الخليفة سليمان بتصفية آل موسى بن نصير، لهذا من المرجح أن العصبية القبلية بين اليمنيين والقيسيين لم تبدأ إلا بعد أن استقر محمد بن يزيد في ولايته؛ إذ أخذ يتتبعهم ويبطش بهم ويأخذ أموالهم[٢].

وقد وردت بعض الروايات التي تستبعد النزاع القبلي، وترجع السبب إلى نقمة الخليفة سليمان على موسى بن نصير بسبب عدم استجابته لطلبه قبل توليه الخلافة بعد أخيه الوليد بن عبد الملك (ت٩٦هـ/٧١٤م) -الذي كان يحتضر- بأن ينتظر بما معه من هدايا الأندلس حتى يتوفى أخيه، إلا أنه لم يستجب له فسلم ما بحوزته من أموال وهدايا للوليد بن عبد الملك، لهذا عندما آلت الخلافة إليه نكب بموسى بن نصير وأودعه في السجن وبعث في قتل ابنه عبدالله بالمغرب[٣] الذي استخلفه أبوه على القيروان سنة ٩٣هـ/٧١١م، وظل عبدالله على ولاية المغرب بعد عودة أبيه إلى المشرق سنة ٩٥هـ/٧١٣م، حتى عزله سليمان وولى محمد بن يزيد[٤]، الذي نكل به وأودعه في السجن، وقتله[٥].

(١) البيان المغرب، ج١، ص٤٧.

(٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤٧، ٤٨.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٩. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١١-٢١٢. ابن عذاري: البيان المغرب: البيان المغرب، ج١، ص٤٧. المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، ج١، ص٢٦٨، ٢٧١، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد التقاعي، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الفكر، بيروت-لبنان.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣١٨. الملصي: دور القبائل، ص١٦١.

(٥) ابن الرقيق، تاريخ إفريقية، ص٦٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٧.

وهو ما قام به أيضاً تجاه عبد العزيز بن موسى في الأندلس، الذي خلع دعوة ابن أخيه، إذ وكل حبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب بقتله[١].

أما عن أوضاع المغرب اقتصادياً واجتماعياً في عهده فلا نجد إلا ما أشار إليه ابن عذاري[٢] من أنه كان يبعث السرايا للثغور الإفريقية، ولم تحدث في عهده أي ثورات للبربر.

واستمر محمد بن يزيد في ولاية المغرب حتى تم عزله من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة سنة ٩٩هـ/٧١٧م-١٠١هـ/٧١٩م. وفي عهده ساد المغرب استقرار وهدوء استمرا عامين نتيجة سياسته العادلة؛ وتعيين ولاة صالحين، إذ عين على المغرب إسماعيل بن أبي مهاجر، ثم ولى إسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم[٣].

إسماعيل بن عبيدالله (١٠٠هـ/٧١٨م-١٠١هـ/٧١٩م):

إسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم القرشي، ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز على المغرب سنة ١٠٠هـ/٧١٨م-١٠٢هـ/٧٢٠م. وفي عهده لم تثر النزاعات القبلية بين اليمنية والقيسية. أما الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فقد كانت مستقرة بعكس الولاة الذين قبله أو بعده. فقد وردت روايات عن

(١) مجهول، نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذ من الرسالة الشريفية إلى الأقطار الأندلسية مرفق بكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، ص١٩٣، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٧. ويذكر إن الذي قتل عبد العزيز بن نصير عبد الرحمن بن حبيب. محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، ص٢٠، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب.

(٢) البيان المغرب، ج١، ص٤٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٢٣

سوء معاملة الولاة للبربر وإرهاقهم بالمغارم والجبايات، ففي عهد عمر بن الخطاب (ت٢٤هـ/٦٤٤م) فتحت برقة سنة ٢١هـ/٦٤٢م على يد عمرو بن العاص[١]، وفرض على أهلها من قبائل لواتة الجزية بعدما رفضوا الدخول في الإسلام تطبيقاً للقاعدة الشرعية، فصالحهم على دينار لكل عاقل[٢]، ونستنتج أن عددهم ثلاثة عشر ألف؛ لأن ابن عبدالحكم[٣] يشير إلى أنه صالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار، بل واشترط عليهم أيضاً، بأنه إذا تعذر عليهم دفعها أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم مقابل الجزية[٤]، وظل هذا الشرط معمولاً به حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز في أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، فرد المظالم إلى أهلها ومن بينهم اللواتيين، إذ كتب كتاباً جاء فيه: "وفي اللواتيات، إن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليردها إلى أهلها"[٥]. بالاضافة إلى أنه اسقط الجزية على من أسلم، وهذا ما أكده ابن سعد[٦]، بأن عمر بن عبد العزيز عندما ولي الخلافة أسرع في إلغاء الجزية على من أسلم، إذ بعث بكتاب لجميع عماله في الأمصار الإسلامية جاء فيه: "من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا واختتن فلا تأخذوا منه الجزية"[٧]. وهذا لا يعني

(١)البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، ج٣، ص٣١٤، تحقيق/مطاع عبد الله أنيس، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،(د.ط).

(٢) ابن عذاري: البيان المغرّب، ج١، ص٤٨.

(٣) فتوح مصر، ص١٧٠.

(٤)البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص٣١٥. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٧٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص٣١٦.

(٦) الطبقات، ج٤، ص٢٧.

(٧) ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٧م): كتاب الأموال، ص٥٩، حديث رقم ١٢٥، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة-قطر، ط٢، (د.ت).

أن سياسته في إسقاط الجزية كانت سبباً في دخول البربر الإسلام؛ لكن سيرته العادلة والحسنة هو ووالیه إسماعيل بن عبدالله، كانتا سبباً في دخول البربر الإسلام[١]، ومن بينهم قبائل لواتة، لهذا بعث بكتابه حول اللواتيات.

يزيد بن أبي مسلم (١٠٢هـ/٧٢٠م-١٠٣هـ/٧٢١م):

يزيد بن مسلم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي[٢]، ولي من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ/٧٢١م[٣]. وبتوليته عاد النفوذ اليمني، حيث اتبع سياسة البطش بالقيسية[٤]، فسجن محمد بن يزيد وعذبه[٥]، انتقاماً لما حل باليمنية على يديه من اضطهاد وبطش.

أما أوضاع المغرب اقتصادياً واجتماعياً، فقد ساءت في عهده، إذ سرعان ما استبد بالبربر، فأعاد تطبيق الجزية على من أسلم منهم[٦]، واتبع نظاماً يخضع

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص٢٢٦، ص٣٢٣، ٣٢٤. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٢٣. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٨..

(٢) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م): الوزارة والكتاب، ص٥٧، تحقيق/ مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، مطابع مصطفى البابي، القاهرة-مصر.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٣٤. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٣، ٢١٤.

(٤) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص٢١٤.

(٥) محمد عيسى الحريري: الدولة الرسمية، ص٥٠.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري ، ج٦، ص٦١٧. الجهشياري: كتاب الوزراء، ص٥٧. التنوخي، أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٤٥، تحقيق/ عبود الشالجي، دار صادر، بيروت-لبنان (د. ط)(د. ت). ميكيلي أماري: تاريخ مسلمي صقلية، م١،ص٢٠١، إعداد/ محب سعد إبراهيم، فلورنسا- إيطاليا- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، (د.ط) (د.م).

من خلاله البربر، بل ويذلهم؛ وذلك عن طريق وشم راحة يدي الجندي البربري اليمنى واليسرى، فيكتب بالأولى اسم الرجل، والثانية صفته كـ(حرسي). وقد لاقى هذا النظام استياء من قبل الذين كانوا يمثلون الحرس الكامل لمحمد بن يزيد؛ باعتباره تفرقة وتمييز بينهم وبين العرب من جانب، واعتبارهم ما زالوا نصارى، وليسوا مسلمين من جانب أخر؛ لأن هذا النظام روماني قديم(١). وقد كان هؤلاء البربر من موالي موسى بن نصير(٢)، لهذا نرى تغير سياسة يزيد بن مسلم تجاه العنصر اليمني ومواليهم، والأرجح في ذلك نتيجة عصبية الخليفة يزيد بن عبد الملك للقبائل القيسية؛ لأنه عندما قتل يزيد بن مسلم سنة ١٠٣هـ/٧٢١م(٣)، تولى ولاية إفريقية –القيروان– والمغرب محمد بن أوس الأنصاري، فأرسل خالد بن أبي عمران إلى الخليفة يخبره بما حدث ليزيد، فسأله الخليفة: "أي رجل محمد بن أوس؟ فقال: رجل من أهل الدين والفضل معروف بالفقه، قال: فما بها قرشي؟ قال: إلا المغيرة بن أبي بردة، قال: عرفته فماله لم يقم؟ قلت "أبى ذلك" فاستعمل يزيد على إفريقية.(٤).

ويبدو من خلال هذا الحوار عصبية الخليفة يزيد بن عبد الملك للقيسية بالرغم من أنه لم يتخذ إجراء ضد يزيد بن مسلم الذي بطش بمحمد بن يزيد وأودعه في السجن؛ لعلمه أن للمسائل الشخصية دورها في ذلك؛ لأن محمداً

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص٣٢٦. ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٢. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٨، ٤٩.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣١٣.

(٣) يذكر أن الذي قتل يزيد بن أبي مسلم الخوارج. ابن أبي الدينار، محمد ابن أبي القاسم الرعيني (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٥٢، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الميسرة، بيروت-لبنان.

(٤) ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٣.

بن يزيد تولى عذاب يزيد بن أبي مسلم بالمشرق زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ/٧١٣م)[١]، ومن ناحية أخرى عدم رغبته في إثارة العنصر اليمني في المغرب الذين يشكلون غالبية العرب المسلمين الذين استقروا في المغرب، لهذا عهد بولاية المغرب لبشر بن صفوان الكلبي وجعله يتتبع قتلة يزيد بن مسلم الذي قتل على يد حرس محمد بن يزيد –كما أشرنا قبل ذلك–؛ لأنه إذا عين والياً قرشياً وجعله يتتبع قتلة يزيد بن أبي مسلم، سيثير ذلك القبائل اليمنية.

بشر بن صفوان (١٠٣هـ/٧٢٢م-١٠٩هـ/٧٢٧م):

ولي بشر بن صفوان بن شرحبيل الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك، وقد أمره أن يصفي[٢] بقايا آل موسى بن نصير ومواليهم [٣]؛ منهم قتلة يزيد بن مسلم وأحد أبناء موسى بن نصير، قيل أنه عبدالله، ولما كان عبدالله قد قتل سنة ٩٧هـ/٧١٦م، في ولاية محمد بن يزيد القرشي، فإنه على الأرجح ابن آخر لموسى[٤]. وقد قام بشر بقتله قبل أن يصل إليه رسول الخليفة يزيد. ووردت رواية تشير إلى أن الذي حرض على قتله خالد بن أبي حبيب القرشي ومحمد بن أبي بكير[٥]. ولم يكتف بذلك فحسب، بل تتبع أموال موسى بن نصير ومواليه أثناءولايته الثانية سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك[٦]. أما بالنسبة لإنتمائه القبلي، فإنه كان يولي على الولايات ولاة من العنصر

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٤.
(٢) نقصد هنا، أن يستصفي أي أن يأخذ الصوافي أي الأراضي من آل موسى بن نصير.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٩.
(٤) سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج١، ص٢٧٠.
(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٥.
(٦) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ٢١٥. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٩.

اليمني[١]، فقد ولى على إفريقية –القيروان– والمغرب قبل موته نعاش بن قرط الكلبي[٢]، إلا أنه لم يستمر طويلاً؛ فقد عزله. الخليفة إذ كان من غلاة اليمنية فعاث فيها مما أدى إلى عزله[٣]، إذ ولى الخليفة هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن على ولاية المغرب.

أما من ناحية أوضاع البربر في عهده فلم ترد لنا إشارة عن أوضاعهم.

أما أعماله الأخرى فقد كانت سياسته الخارجية تتجه نحو الحملات البحرية على جزر سردانية وكورسيكا وصقلية[٤]، وقد جعل قادة الحملات من العنصر اليمني، من أمثال: عمرو بن فاتك الكلبي، وقثعم بن عوانة الكلبي[٥]، أما غالبية الجيش فكانوا من البربر. وبالرغم من ذلك فإننا لا نجد أي رواية تدل على عدم المساواة بين العرب والبربر في عهده، لهذا ساد هدوء في فترة حكمه، إلا أن ذلك لا يعني أن إمكانيات المغرب الاقتصادية والبشرية لم تستغل، فالهدايا التي توجه بها للخليفة هشام في ولايته الأولى سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م، كانت من خيرات المغرب الاقتصادية وخيراتها البشرية المتمثلة بالحملات التي

(١) مجهول: مجموعة أخبار، ص٢٤. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٦. وقارن ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤٩. إذ يجعل خليفة بشر العباس بن ماعصة الكلبي. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٣٤. إذا يجعل خليفة بشر يحيى بن ماعصة.

(٣) ابن أبي الدينار، المؤنس، ص٥٣.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٣٠، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ خليفة، ٣٣٠، ٣٣٨.

حققت مآرب الولاة من إرضاء الخلافة، وذلك بجمع الأموال من جهة وكسب مراكز وأموال من جهة أخرى.

عبيدة بن عبد الرحمن الأسلمي (١١٠هـ/٧٢٨-١١٤/٧٣٢م):

يعد عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[١] القيسي القرشي من غلاة القيسية، إذ أنه عندما دخل القيروان قال بشر بن صفوان: "لا حول ولا قوة إلا بالله! هكذا تقوم الساعة".

وقد قام عبيدة باضطهاد العنصر اليمني، ومنهم أتباع الوالي السابق بشر بن صفوان الكلبي، والتحامل عليهم[٢]، وتعذيبهم، وقد أساء معاملة أحد زعماء القبائل اليمنية وهو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الذي كان أحد ولاة بشر بن صفوان على ولايات عديدة في المغرب، وأحد أشراف قومه، وأفصح شعرائهم، لهذا يقال: أنه عندما ولي عبيدة بن عبد الرحمن نكل به وبعدها عزله عن منصبه[٣]، فهجا الخلافة بأبيات، قائلاً فيها:

"أفأنتم بني مروان قيسا دماءنا ... وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان تم له الفصل
تعاميتم عنا بعين جلية ... وأنتم كذا ما قد رعيتم لنا فعل"[٤]

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥٠.

(٢) ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٤. ابن الأبار، أبو عبدالله بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨-١٢٦٠م): الحلة السيراء، ج١، ص٦٥، ٦٦، حققه وعلق على حواشيه/ حسين مؤنس، ط١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، مطبعة لجنة التآليف، (د.م). ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥٠.

(٣) ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٤. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٦٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥٠، ٥١.

وكان قصده من هذه الأبيات تذكير الخليفة هشام بن عبد الملك بموقف اليمنية من الخلافة في موقعة "مرج راهط"، إذ وقفوا إلى جانبهم بعدما وقفت القيسية بجانب ابن الزبير سنة ٦٥هـ/٦٧٥م[١].

ويذكرأنه عندما وصلت هذه الأبيات للخليفة أمر بعزل عبيدة بن عبد الرحمن[٢]، إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذه الرواية لوجود رواية أخرى تذكر أن عبيدة عندما خرج من إفريقية متوجهاً إلى دمشق، طلب من الخليفة هشام أن يستعفيه فعفاه[٣]؛ ومما يؤكد ذلك أن الخليفة هشام عندما ولي حنظلة بن صفوان الكلبي ولاية المغرب سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م أمره أن يولي أبا الخطار الأندلس، وبهذا تكون القصيدة قد لاقت صداها سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م، وليس قبل ذلك[٤]. وهناك ترجيح آخر أن تولية أبي الخطار الأندلس[٥] لم تكن بأمر من الخليفة هشام؛ لأن والي إفريقية هو الذي يولي والي الأندلس من أحب منذ زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك[٦].

(١) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٥٩، ٢٦٠. علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ج١، ص٦٣٧، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار الصحابة، الشارقة-الإمارات.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥١.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١٨. ابن أبي الدينار: المؤنس، ص٥٤.

(٤) سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج١، ص٢٧٥.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٠.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٤٧. وهو ما تؤكده رواية أخرى، وهي: "كانت الأندلس إذ ذاك الي إفريقية"، ويقصد بالمغرب غرب مصر والأندلس، إذ اعتبرتا منذ عهد سليمان إقليماً واحداً يتم تعيين ولاة الأندلس من قبل والي القيروان حتى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي فصل المغرب عن الأندلس بتولية إسماعيل بن عبد الله بن مهاجر على

وإذا ما افترضنا أنه كان للقصيدة دورٌ في تعيين أبي الخطار، فإنه كان من الأحرى بالخليفة هشام أن يولي ولاية إفريقية والمغرب شخصاً كلبياً يمنياً وليس قيسياً، كما يتجلى في تعيينه لعبيد الله بن الحبحاب بن الحارث القيسي والياً عليها سنة ١١٦هـ/٧٣٥م إلى سنة ١٢٣هـ/٧٤٢م[١]. ثم تعيينه بعد ذلك كلثوم بن عياض القشيري أحد أعيان القيسية سنة ١٢٣هـ/٧٤٢م[٢]؛ وهذا ما أدى إلى استياء أبي الخطار من تتابع ولاة إفريقية والأندلس من العنصر القيسي[٣].

أما بالنسبة لأوضاع البربر الاقتصادية والاجتماعية، فقد ساءت في عهده، إذ جمع عبيدة بن عبد الرحمن الإماء والجواري والخصيان والدواب والذهب[٤]، والتحف والهدايا العظيمة[٥]؛ من خلال الغزوات التي قام بها تجاه البحر[٦]، والتي كان أغلب جيوشه فيها من البربر، الذين لقوا على يديه معاملة سيئة، إذ

المغرب والسمح بن مالك على الأندلسحتى سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م بعدها عادت الأندلس تابعة للمغرب. المصدر نفسه، ج١، ص٤٧. مجهول: مجموعة أخبار، ص٢٢، ٢٣. مجهول: نبذة من أخبار فتح الأندلس، ص١٩٣. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٢٣. البلاذري: الفتوح، ج٣، ص٢٢٦.

(١) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٢٤٧. ابن القوطية: تاريخ افتتاح، ص١٤٠. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧.

(٢) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٥٤.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص٦٥.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥١.

(٦) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٤٣، ٣٤٥. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٧٤. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٦.

أسرف في غزو قبائلهم وسبى نساءهم، وبالغ في التعسف معهم والجور بهم[١]، فكانت سياسته الاقتصادية والسياسية أداة في تدمير ما تبقى من مظاهر التعايش السلمي في المغرب[٢].

عبيدالله بن الحبحاب (١١٦هـ/٧٣٤م-١٢٣هـ/٧٤١م):

عبيدالله بن الحبحاب بن الحارث القيسي؛ مولى عقبه بن الحجاج السلولي القيسي[٣].

وكان عبيد الله متعصباً لقيسيته[٤]؛ إذ عمل على عزل عمال الوالي السابق عقبة بن قدامة التجيبي، الذي ظل مدة ستة عشر شهراً يدير شؤون المغرب[٥]، قبل أن يرسل الخليفة هشام سنة ١١٦هـ/٧٣٤م واليه على مصر عبيدالله بن الحبحاب الذي عمل على إبقاء عقبة في إدارة شؤون المغرب تحت إشرافه[٦]. وولى عمر بن عبيدالله المرادي على طنجة سنة ١٢١هـ/٧٣٩م[٧]، وأرسل

(١) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٢١١، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨٢م، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية- مصر.

(٢) إبراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص٣٥٢، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (د.ط).

(٣) ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص٣٤٧. مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٥. ابن القوطية: تاريخ افتتاح، ص. ابن عذاري، ج١، ص٥١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٣٦.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص٢١٢.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥١.

(٦) الملصي: دور القبائل، ص١٧٥.

(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٨. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧. ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٥١. ابن خلدون: العبر، ج٦،

حملتين بقيادة قثعم بن عوانة الكلبي الأولى نحو صقلية سنة ١١٨هـ/٧٣٧م، والثانية نحو سردنيا سنة ١١٩هـ/٧٣٨م[١]، وغيرها. وقد كان معظم قادة هذه الحملات من القبائل اليمنية[٢]. إذ غرضه من ذلك تهدئة الوضع بين القيسية واليمنية. إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد اتهمت بعض القبائل اليمنية بزعامة موسى بن أبي خالد والي تلمسان بأنهم وراء ثورة البربر سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، فعمل على الانتقام منهم[٣]، وكان غرضه من ذلك هو إيجاد تبرير للخليفة حول أسباب ثورتهم. وهذه الثورات هي نتيجة أعمال الوالي عبيدالله بن الحبحاب وعماله الذين أسرفوا بدورهم في استبداد البربر واستغلالهم، فقد كانوا يسلبون أموالهم، حتى وصل بهم الأمر إلى معاملتهم معاملة الرقيق[٤]، ويذكر ابن عذاري[٥] رواية جاء فيها: "كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف

ص٢٢١. أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٩١. الذي يقول أن المرادي كان إلى جانب إسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب على طنجة.

(١)ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٤٩. ابن الأثير: الذي يجعل الحملة الأولى سنة ١١٧هـ/٧٣٦م إلى صقلية، والثانية سنة ١٢٢هـ/ ٧٤١م. الكامل، ج٥، ص١٩١. وقارن ابن عبد الحكم، ص٢١٧، حيث استعان عبيدالله بن الحبحاب إلى شخصيات يمنية في قيادة الحملات البحرية مثل عثمان بن أبي عبيدة الفهري وأخيه حبيب ابن عبيدة.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧.

(٣) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في أسبانيا، ص١١٠، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (د.ط).

(٤) بروفنسال، ليفي: تاريخ أسبانيا الإسلامية منذ الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ص٦٢، ترجمة إلى الأسبانية/أميليوا جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية/علي عبد الرؤوف اللمبى، وعلي إبراهيم متوفي، والسيد الظاهر عبد الله، مراجعة/صلاح فضل،ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م،(د.د) (د.م).

(٥) البيان المغرب، ج١، ص٥٢.

المغرب، ويبعثون فيها عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريات السنيات. فلما فضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة".

وهناك رواية أخرى يوردها الطبري[١]: "فجعلوا يبقرونها (الماشية) على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد"، وهذا ما أكده ابن خلدون[٢] في شرح ذلك: "كانت الصرمة من الغنم تهلك ذبحاً لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها، ولا يوجد فيها مع ذلك إلى الواحد وما قرب منه..."، وهذه الروايات تنطبق على بعض ولاة المغرب الذي سبق وأشرنا ليهم.

كما أن عامل ابن الحبحاب على طنجة عمر بن عبيدالله المرادي أساء السيرة، وتعدى الصدقات، وأراد تخميس البربر، إذ زعم أنهم من فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل من قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يسلم[٣].

مما سبق يتضح لنا أن أوضاع بلاد المغرب السيئة أثناء حكم الولاة، وسوء معاملتهم للبربر، من أهم الأسباب التي استغلها الخوارج في بث دعوتهم وأفكارهم بين أوساط البربر، حيث بدأ أول ظهور عسكري سياسي في المغرب

(١) تاريخ الطبري، ج٦، ص٥١٥. أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص٣١، ٣٢.
(٢) العبر، ج٦، ص٢٤٠.
(٣) ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٦٧.

متمثل بثورة ميسرة المطغري سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م[١]. أما بالنسبة للدعوة الإباضية فإنها لم تتخذ الأسلوب العسكري السياسي إلا في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وذلك نتيجة أسلوبها في إعلان الثورة وارتباطها بالعامل الجغرافي[٢]؛ إذ استطاعت الإباضية في إقليم طرابلس في عهد عبد الرحمن بن حبيب الفهري ١٢٧هـ/٧٤٤م-١٣٧هـ/٧٥٤م أن تعلن أولى ثوراتهم سنة ١٣١هـ/٧٤٨م[٣]، بعد مقتل أحد زعماء الإباضية هناك، وهو عبدالله بن مسعود التجيبي في سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وذلك على يد أخي عبد الرحمن بن حبيب الفهري[٤]. وهذا يدل على أن الدعوة الإباضية كانت منتشرة بين صفوف البربر والعرب، مما مكن لهم القيام بثورات كتب لبعضها الفشل[٥]،

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٨، ٢٩. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٧-٢٢٠. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٢١.

(٢) انظر: جغرافية جبل نفوسة في ص ٤٦-٤٩ من الدراسة.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٢٤. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٢٣. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٨٩. حيث يرد اسم سعد بن مسعود بدلاً من عبدالله بن مسعود.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٢٤. وقارن ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص٣٨٩ حيث يورد تاريخ الثورة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، والأسماء: سعد بن مسعود، وعبد الجبار بن معن، أما الشماخي: السير، ج١، ص١١٤- ١٢٠، الذي يذكر اسمها ولا يشير إلى سبب ثورتها مكتفياً بالقول: "كان عبد الجبار والحارث قاما عام إحدى أو اثنين وثلاثين بناحية طرابلس على عامل مروان بن محمد أحدهما إمام والآخر وزير أو قاضيه...". وقارن البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ٨٧ "مخطوط"، الذي اكتفى بالقول دون أن يعطي أسباب ثورتها الحارث وعبد الجبار ثار بطرابلس قبل أبي الخطاب".

(٥) الجدير بالذكر أن الشماخي لا يشير إلى الثورات التي قامت بها الإباضية قبل ثورة أبي الخطاب المعافري، ما عدا ثورة الحارث وعبد الجبار، إلا أنه لم يسرد تفاصيلها، إذ أنه لا يشير إلى مقتل عبد الله بن مسعود وثورة إسماعيل بن زياد النفوسي الذي عظم شأنه وكثر أتباعه، ونجح في الاستيلاء على مدينة قابس، وبهذا تسقط من اعتبارها كل نشاط للإباضية في

وبعضها النجاح إلى أن أسسوا لهم إمامتين الأولى سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، على يد أبي الخطاب المعافري[١]، والثانية سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م، على يد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية[٢].

وبهذا يمكننا القول بأن للعصبية القبلية والتمييز بين العرب والبربر وتجاوزات بعض الولاة في استغلال البلاد، دون النظر في مصالح أهلها أو مطالبهم، أدى إلى عدة نتائج: أولها، قتل الوالي يزيد بن مسلم سنة ١٠٣هـ/٧٢١م[٣] على يد مواليه من حرسه وبعض أنصار آل موسى بن نصير، على الرغم من أن البربر والعرب كانوا أكثر طوعاً للخليفة وللخلافة، إذ أرسلوا كتاباً مع خالد بن عمران التجيبي عندما قتل يزيد بن مسلم، جاء فيه: "إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن مسلم سامنا ما لا يرضي الله والمسلمون، فقتلناه، وأعدنا عاملك"[٤]. أما الثانية، فهي ما أن ما بدأت الدعوة الإباضية في الظهور حتى لاقت استجابة من قبل البربر والعرب؛ لأن شعارها المساواة وعدم التفرقة، ناهيك عن أهدافها السياسية في تأسيس دويلات لها[٥]. أما الثالثة، فهي هزيمة العرب أمام الصفرية في موقعة

المغرب سابق عن حركة أبي الخطاب المعافري التي تعتبره أول أئمتها. السير، ج١، ص ١١٤ -١٢٠.

(١) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) محمد عيسى الحريري، مقدمات البناء السياسي، ص ٧٣- ١٠٨.

(٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص٢٨٨، ٢٩٠.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٦١٧. وقارن التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٤٥، حيث وردت الرواية بسياق مختلف.

(٥) الدرجيني، طبقات الإباضية، ورقة ١٦ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص١١٤. البطاشي: غاية المأمول، ج٩، ص٣٧.

"بقدروة"[١] سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م أمام ميسرة المطغري الصفري[٢]، بقيادة كلثوم بن عياض القشيري وابن أخيه بلج بن بشر القيسي اللذين أثارا العصبية بين العرب؛ إذ ذكر ابن الأثير[٣] أنه عندما لقي بلج بن بشر أهل القيروان أراد أن ينزل عسكره الذين معه في منازلهم. وهو ما ذكره ابن عذاري[٤]، فلما وصل، قال لأهل إفريقية: "لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلكم".

ولم يحدث هذا فحسب، بل انقسم الجيش إلى قسمين: أولهما، بجانب عبد الرحمن بن حبيب، وهم عرب الأفارقة وأهل مصر. أما الثانية، أهل الشام بجانب بلج وكلثوم بن عياض. وعلق ابن عذاري[٥] على ذلك بقوله: "فكان هذا الاختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأي كلثوم وبلج". وذلك بسبب إهانة بلج لحبيب بن أبي عبيدة الفهري، وكان يمنياً، وذلك عندما أراد حبيب أن يقدم لكلثوم بن عياض تجاربه وخبرته في قتال البربر استهزأ به قائلاً: "ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب"[٦].

وهكذا لعبت العصبية دورها في هزيمة العرب وانتصار البربر، بالإضافة إلى تردي أحوال البلدان الإسلامية منذ عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص٣٢. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٩٢، ١٩٣. وقارن ابن عذارى: البيان المغرب ج١، ص٥٥ (موضع المعركة وادي سبو).
(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٨، ٢٩. ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ٢٢٠:٢١٧. ابن خلدون: العبر، ج٦، ٢٢١. محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، ص٢٠.
(٣) الكامل، ج٥، ص١٩٢.
(٤) البيان المغرب، ج١، ص٥٤.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٥٥.
(٦) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص٢٩٥. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٩٣.

ولي سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م حتى سنة ١٢٧هـ/٧٧٤م حتى عهد آخر خلفاء الدولة الأموية مراون بن محمد، مما ساعد بدوره على قيام الثورات[١].

ونستنتج من ذلك، أن البربر والعرب قد قاسوا من الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يمثله سوء سياسة بعض ولاة الدولة الأموية الأواخر الجائر؛ وكان لذلك أثره الفعال في دفع بعض البربر والعرب إلى اعتناق المذهب الخارجي والإنخراط في صفوف الفرقتين الإباضية والصفرية.

العامل الثاني: "ملائمة المبادئ والأفكار التي نالت بها الإباضية"

من العوامل التي يسرت انتشار الدعوة الإباضية في المغرب ملائمة المبادئ والأفكار التي نادت بها في صفوف البربر، حيث لاقت رواجها واستجابة من قبلهم، إذ تدعو للمساواة التامة بين جميع المسلمين باختلاف أجناسهم من جهة، وتدعو للقاعدة الشرعية في اختيار الخليفة، أي تكون الخلافة في كافة المسلمين وعدم حصرها في فئة معينة من جهة أخرى. كما كان للمبادئ والخروج على الإمام الجائر والظالم[٢] رواجها في صفوفهم، وهذا لا يعني بالضرورة من أن اعتناقهم لهذه المبادئ هو رغبتهم في الخروج على الخليفة بل

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٥.

(٢) يعد مبدأ الحكم من حيث اختيار الخليفة، أو الخروج عنه والمساواة بين جميع المسلمين من المبادئ التي نادت بها جميع فرق الخوارج منها الصفرية، لهذا عندما تتحدث المصادر التاريخية ومراجعها عن حركة الخوارج في المغرب تقصد بها الصفرية والإباضية . مجهول: أخبار مجموعة، ص٢٨. المسعودي، أبو الحسن بن علي (ت٣٦٤هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج١، ص١٧٣، تحقيق/ عبدالأمير مهنا، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، منشورات الاعلمي، بيروت-لبنان. ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣١٣. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١١٠. الناصري: الاستقصاء، ج١، ص١٩٧. محمود إسماعيل: الخوارج، ص٣٦-٣٩.

بالعكس، فقد وجدوا فيها تطبيقاً للدين الإسلامي، خصوصاً ما وجدوه من تطبيق لمبادئ الدين الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ووالیه، ولهذا دخل البربر كافة في الدين الإسلامي(١)، وبهذا تكون الإباضية نشرت مذهبها باسم الإصلاح والعمل بالكتاب والسنة(٢).

بالإضافة إلى ذلك، فإن للصفرية دوراً مهماً في انتشار الدعوة الإباضية على نطاق واسع وبالتحديد في مناطق انتشارها، إذ استغل دعاتها ضيق الناس بالصفرية وفسادهم، إذ كانت ثوارتهم شراً على البربر، بما أسرفوا فيه من ارتكاب المعاصي وسفك الدماء وانتهاك الحرمات واستباحة الأعراض، وكان ما فعلته بربر "ورفجومة"، وهم من غلاة الخوارج الصفرية في القيروان سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، خارج الاعتدال الذي اتصفت به الدعوة الإباضية في نظرتهم للمخالفين لهم(٣).

وروى ابن الأثير(٤): "أن رجلاً من الإباضية دخل القيروان لحاجة فرأى أناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهراً والناس ينظرون فأدخلوها الجامع فترك الإباضي حاجته وقصد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه ذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول: "بيتك اللّهم بيتك".

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ج٣، ص٢٣٢، ٢٣٣.
(٢) محمد عيسى الحريري: البناء السياسي، ص٥٥.
(٣) محمد محمود عبد القادر، الحياة السياسية، ص٩٠.
(٤) الكامل، ج٥، ص٣١٦.

وذكر أبو زكريا[١]: "أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى أبي الخطاب تشكو إليه جور ورفجومة، فقالت: "أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن لي بنتاً لم أحرزها إلا في حفرة حفرتها تحت سريري مخافة عليها من الورفجومة أن يفسدوها".

ومهما تعددت الروايات[٢] حول فساد ورفجومة الصفرية وتطرفها فإنها كانت لصالح الإباضيين، إذ قاموا بنشر مذهبهم على نطاق واسع، بعد أن قاموا بدعاية كبيرة ضد المذهب الصفري، وبهذا استطاع أبي الخطاب وجنوده من السيطرة على طرابلس سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، ودخول القيروان ووضع عاملاً عليها سنة ١٤١هـ/٧٥٨م، وفي السنة نفسها سيطر على المناطق الممتدة من سرت إلى قابس[٣].

العامل الثالث: "الرابطة القبلية والمستوى العلمي للدعاة"

تعد الرابطة القبلية من العوامل المهمة التي ساهمت في نشر الدعوة الإباضية بالمغرب، فأغلب من اعتنقها هم الدعاة الذين كانت قبائلهم منتشرة في المغرب، لهذا سوف نذكر أهم القبائل البربرية التي اعتنقت الدعوة.

(١) سير الأئمة، ص٣٨، ٣٩.

(٢) ذكرت عدة روايات عن السبب الذي جعل أبي الخطاب المعافري الدخول إلى القيروان لمحاربة ورفجومة الصفرية. أنظر: أبو زكريا: سير الأئمة، ص٣٩. ابن الرقيق: تاريخ إفريقية، ص٨١. الشماخي: السير، ج١، ص١١٥، ١١٦.

(٣) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٥. محمد محمد عبدالستار الخطيب: الحياة السياسية، ص٩٠.

قبيلة زناتة:

هي إحدى بطون قبيلة بني يحيى المنحدرة من قبيلة ضريسة البترية[١]. وقد قطنت قبيلة زناتة في عدة مناطق من المغرب[٢]، أما زناتة الخارجية فقطنت بناحية الجوف والشرق من مواطن لماية[٣].

ولعبت زناتة دوراً مهماً في انتشار المذهب الإباضي، إذ أغلب علماء الإباضية من قبائل زناتة، من أمثال أبي القاسم يزيد بن مخلد، وأبي خزر يغلا من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٤]. إضافةً إلى دورها في الحرب ضد "ورفجومة" الصفرية إلى جانب أبي الخطاب المعافري سنة ١٤١هـ/٧٥٨م[٥]. وعلى الرغم من عدم اشتراكهم في معركة "تاورغا" مع أبي الخطاب المعافري سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، خوفاً من ابن الأشعث، إلا أن ابن الأشعث (قد قتل زعيمهم أبا هريرة الزناتي مع ستة عشر ألفاً من أصحابه)[٦]. ومع ذلك فإنهم لم يغيروا مذهبهم.

وذكر ابن خلدون[٧] أنهم كانوا على دين الخارجية وعلى رأي الإباضية منهم، ومن أبرز بطون زناتة التي اعتنقت الإباضية وبقت محافظة عليه قبائل

(١) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٩٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٦.
(٤) الشماخي: السير، ج٢، ص٣٣، ٢٣٠، ٢٣١.
(٥) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٧، ٢٤٨.
(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١١٧. – هذا العدد من القتلى مبالغ فيه إلا أنه يدل على كثرة من قتل من الإباضية، وانظر: محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٦٦.
(٧) العبر، ج٦، ص٢٤٦.

بني برزال أحد بطون بني دمر[١] الزناتية الخارجية[٢]، وكانت مواطنها بجبل "السلات" وما إليه من أعمال "المسيلة"[٣]، وقد ذكر ابن حزم[٤] أن قبيلة بني برزال تدين بالمذهب الإباضي.

ومن قبائل زناتة قبيلة بني واسين، والأرجح إنهم اتخذوا من الإباضية مذهباً لهم في وقتٍ مبكر، وظلوا على المذهب حتى بعد سقوط الدولة الرستمية إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٥]، وبرز علماءمنهم[٦]. وقد قطنت قبائل بني واسين عدة مناطق في المغرب[٧]. ومن بطون زناتة الذين اتخذوا المذهب الإباضي مذهباً لهم قبيلة "مغراوة"[٨] وظلوا على المذهب الإباضي حتى سقوط الدولة الرستمية وبعدها اعتنقوا المذهب السني، إذ أشار

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٩م): جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م (د.ط). ابن خلدون: العبر، ج٧، ص١٠.

(٢) محمد حسن: الجغرافية التاريخية الإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري ٧١١-٧×م "فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات"، ص٤٠، ط١، ١٤١٥هـ/٢٠٠٤م، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا.

(٢) العبر، ج٦، ص٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٧، ١١١. وانظر: وصف جبل السلات في ص٦٣ في الفصل الثالث من الدراسة.

(٤) جمهرة أنساب، ص٤٩٩.

(٥) جمهرة أنساب، ص٤٩٨.

(٦) الشماخي: السير، ج٢، ص٣٧، ١١٣، ١٢١.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص١٢٠، ١٢٢ – ١٢٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٢.

ابن حزم[١] أن جمهور مغراوة سنة -وهذا لا يعني أنه ليس هناك ممن ظل على المذهب الإباضي، فقد ظهروا على شكل أفراد وليس كقبيلة كاملة-.

قبيلة لواتة:

تنحدر قبيلة لواتة من قبيلة لوا الأكبر البترية، وهي من القبائل الضواغن – المترحلة -، وقد قطنت الأقاليم الشرقية، وبالتحديد في نواحي برقة، ولواتة الإباضية، كانوا بأرض "السرسو" قبله منداس وزواغة وكانوا بالغرب من مواطن لماية[٢].

ومن أهم قبائل لواتة التي كان لها دور في نشر الدعوة الإباضية وقيام الدولة الرستمية سنة ١٦٠هـ/٧٦٧م قبيلة "مزاتة"، إذ قال عنها عبد الوهاب بن رستم: "إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة"[٣]. ومن أشهر قبائل مزاتة قبيلة "زهانة" إذ اشتركت مع أبي الخطاب المعافري في ثورته سنة ١٤١هـ/٧٥٨م، وهزمت أحد جيوش أبي الأشعث في معركة "تاورغا" سنة ١٤٤هـ/٧٩١م[٤]. وقد ظهر من قبيلة زهانة عدد من علماء الإباضية[٥].

وقد ذكر ابن خلدون[٦] بأن قبائل لواتة قد اتخذت الإباضية مذهباً عندما انتشر واستمروا على ذلك حتى استولى الفاطميون على المغرب، فعملوا على

(١) جمهرة أنساب، ص٤٩٨.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٥، ٢٤٦.
(٣) الشماخي: السير، ج٢، ص٢٢٦.
(٤) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب العربي، ص٦٦.
(٥) الشماخي: السير، ج٢، ص٢٢٩.
(٦) العبر: ج٦، ص٢٤٦.

إجبارهم على تركه والتمذهب بمذهب الرافضة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، وذلك عندما استولوا على ""تاهرت"" عاصمة إباضية المغرب. وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر العديد من علماء الإباضية منهم(١).

ومن قبائل لواتة قبيلة "سدراتة" المنحدرة منها(٢)، وقد لعبت دوراً مهماً في الخلاف الفقهي السياسي الذي نشب بين عبد الوهاب بن رستم والمخالفين له بزعامة يزيد بن فندين الإباضي(٣).

قبيلة لماية :

تعد قبيلة "لماية " من القبائل الضواغن بإفريقية –المغرب الأدنى– والمغرب، وهي إحدى بطون قبيلة فاتن بن تمزيت (تمصيت) التي تنحدر من قبيلة ضريسة البترية(٤).

وقد قطنت قبائل "لماية " بالمغرب الأوسط متآخمة مما يلي الصحراء، وهي من القبائل التي شاركت في تأسيس إمارة "تاهرت"(٥) الإباضية، ثم انتشرت بعد سقوط "تاهرت" سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م إلى الجنوب التونسي الذي يعرف بإقليم "قسطيلية"، والمشهور ببلاد "الجريد"، حيث يمتد من جنوب تونس وما

(١) الشماخي: السير: ج٢، ص٢٣٣.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٥.
(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي،ج٢، ص٣١٦.
(٤) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٩، ٢٤٧.
(٥) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٤٧.

يتاخمها من أرض طرابلس والجزائر[١]، ومن مدنه "نفطة"، و"توزر"، و"قفصة"، و"بسكرة"، وجميعها مناطق انتشار المذهب الإباضي[٢].

وقطنت لماية أيضاً جبل "دمر" وبالتحديد في "تطاوين"[٣]. وقد اعتنقت قبائل الماية الدعوة الإباضية، إذ قال عنها ابن خلدون[٤]: "ولما سرى دين الخارجية في البربر، أخذوا برأي الإباضية ودانوا به"، ويرجح ذلك سنة ١٤١هـ/٧٥٨م، وذلك عندما بايع سكان المغرب الأوسط أبا الخطاب المعافري إماماً للإباضية[٥].

وقد لعبت قبائل لماية دوراً مهماً في انتشار الدعوة الإباضية، منذ بداية اعتناقها للمذهب الإباضي حتى أثخن فيهم الفاطميين سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، وقد بقيت إحدى بطون لماية وهي قبيلة "جربة" التي تسمت بها الجزيرة المقابلة "لقابس" باسمها على المذهب الإباضي حتى وقت متأخر، وذكر ابن خلدون[٦]: "أن القبائل المتواجدة في هذه الجزيرة -جزيرة "جربة من البربر"- ما زالت تدين بدين الخارجية ويتدارسون مذهبهم وأصول عقائدهم وفروع من مذاهبهم".

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص٧٥.
(٢) انظر: وصف تلك المدن في الفصل الثالث من الدراسة.
(٣) محمد حسن: الجغرافية التاريخية ص٤٠.
(٤) العبر، ج٦، ص٢٤٦.
(٥) محمد محمود عبد القادر: الحياة السياسية، ص٩١.
(٦) العبر، ج٦، ص٢٥٠.

obeikan.com

قبيلة نفوسة:

قطنت قبيلة نفوسة في جهات طرابلس وما إليها، وقد ذكر ابن خلدون[١] الجبل المعروف باسمهم وهو جبل "نفوسة"، وتعد قبيلة نفوسة من أكثر القبائل البربرية اعتناقاً للدعوة الإباضية، وهذه القبيلة قال عنها الشماخي[٢]: "بلغت في العلم والتقى والعدل والورع مبلغاً عظيماً، يكاد أن يكون حاكيه كاذباً بالشرق والغرب، ولذا قال عبد الوهاب بن رستم: "إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة".

وقد بلغت قبيلة نفوسة من الدين والتقى والعدل بأن وصف أناسها بأنهم أكثر حجاً: " إذ كانوا يحجون بنسائهم وذراريهم، حتى إنهم ولد لهم في ركب ثلاث مائة مولود ذكر "[٣]. وكان أكثر علماء الإباضية من قبيلة نفوسة، لهذا نلاحظ أن كثيراً منهم، ممن لهم دور في نشر الدعوة في مناطق عدة من المغرب، وقد ذكر الشماخي[٤] عدداً من علماء الدعوة من قبيلة نفوسة الذين ينتمون إلى مناطق عدة من المغرب[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٦ ، ٢٤٧.

(٢) السير، ج٢، ص٢٢٢.

(٣) الوسياني، سليمان بن عبد السلام ابن حسان عبد الله (ت٤٨١هـ/١٠٧٧م): سير أبي الربيع الوسياني، ورقة٥ "مخطوط" بدار الكتب المصرية، برقم ٩٠٩٣، ميكرو فيلم. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٧٩ "مخطوط".

(٤) السير: ج٢، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٥) انظر: توزيع قبيلة نفوسة في المغرب. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٠.

قبيلة هوارة:

تعد قبيلة هوارة إحدى بطون أوريغة من قبائل البرانس[١]، وهي من قبائل الضواغن[٢] (المترحلة). حيث قطنت إلى جانب نفوسة في مواطنها ومنها بلد مسراتة في اقليم طرابلس إلى بلد سرت وبرقة آخر جبال طرابلس – جبل نفوسة – وكانت هذه الجبال من مواطن "هوارة" و"نفوسة" و"لواتة" ويقصد بالجبال هنا جبل "دمر"، وجبل "مسلاتة"، وجبل "نفوسة"[٣]. وأرض "السرسو" قبله "منداس"، و"زواغة"، وكانوا من ناحية الغرب عنهم[٤]، أيضاً انتشروا بجبل "أوراس"[٥]، ولا تعد هذه مناطق انتشار قبيلة "هوارة"، بل المناطق التي تواجدت فيها "هوارة" الإباضية[٦]. وذكر ابن خلدون[٧] أن قبيلة "هوارة" دانت بالإباضية عندما ذكر قبيلة "لماية"، وقد لعبت هوارة الإباضية

(١) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٩٠. ابن خرذاذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م): المسالك والممالك بذيله نبذة من كتاب الخراج لأبي قدامة بن جعفر البغدادي، ص٨٣، مطبعة بريل، ليدن، دار صادر، بيروت – لبنان ١٨٨٩م، (د.ط).

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٢٤. البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٠ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص١٦٧، ج٢، ص٥٩. انظر وصف جبل أوراس في الفصل الثالث من الدراسة.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٨٤-٢٩١.

(٧) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٢٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.

دوراً مهماً في الحرب ضد "ورفجومة" الصفرية، وفي عهد الدولة الرسمتية. وقد برز العديد من علماء الإباضية من قبيلة "هوارة"(١).

وهناك قبائل أخرى، مثل "مكناسة" و"مطماطة" اللتين اتخذتا الإباضية مذهباً عندما انتشرت إلى أن استولى الفاطميون على المغرب وإجبارهم إياهما على ترك الإباضية واتخاذ مذهب الرافضة(٢). وقد كانت هاتان القبيلتان تقطن في جوف "تاهرت"(٣).

وبالإضافة إلى الدور التي لعبته الرابطة القبلية في نشر الدعوة الإباضية، كان للدور الفردي أيضاً دوره، فقد كان لسلمة بن سعد الحضرمي وأبي الخطاب المعافري دور في نشر الدعوة الإباضية في صفوف القبائل اليمنية في المغرب، إذ شاركت أقليات يمنية في ثورة الإباضية سنة ١٣١هـ/٧٤٨م، بزعامة عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي(٤)، وتعد هذه الثورة أول إشارة إلى ظهور الدعوة الإباضية عسكرياً في المغرب، ويرجع سبب

(١) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٠ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص١٦٧، ج٢، ص٥٩، ٢٣٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٦.

(٣) البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المسالك والممالك الجزء في ذكر البلاد المغرب والأندلس، ج٢، ص٢٤٩، تحقيق/جمال طلبة،ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. التقي العلوي: أصول المغاربة "القسم البربري"، ص٩٠، مجلة البحث العلمي، العدد ٣٣، إصدار/ المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الحسن، الرباط – المغرب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص٣٨٩ حيث يورد تاريخ الثورة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، ويرد اسم عبد الجبار بن معن. ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٢٣.

الثورة إلى مقتل أحد زعماء الإباضية من قبيلة "تجيب" اليمنية عبدالله بن مسعود التجيبي في سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م[١].

وأخيراً يمكننا القول بأن للمجهود الجماعي للقبيلة أو الفردي دوراً في نشر الدعوة الإباضية، وذلك عن طريق معرفتهم بالمناطق والتجمعات القبلية للبربر والعرب، والتي يمكن بذر الدعوة الإباضية فيها، وكذلك معرفتهم بالعادات والتقاليد السائدة في المنطقة، وهذا بلا شك عامل مهم في نجاح الدعوة. ومن ناحية أخرى كان للبربر الضواغن الذين اتخذوا الدعوة دور مهم، إذ أنهم كانوا في صفة ترحال مستمر، مما أسهم في خدمة الدعوة، من خلال نشرها في المناطق التي يستقروا فيها ولو كان لبعض الوقت.

وهناك عامل مهم ساهم في بذر الدعوة في صفوف القبائل، ألا وهو المستوى العلمي والفكري اللذان كان يتمتع بهما دعاة الإباضية؛ فسلمة بن سعد[٢] لولا قدرته العلمية والفكرية، التي اكتسبها من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة لما أُهل لنشر الدعوة، واستجاب له عدد من القبائل البربرية واليمنية، وكذلك ابن مغطير النفوسي إذ أنه عندما سمع عنه وعن مبادئه أستجيب له، وسرعان ما توجه للبصرة ليغترف العلم من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة،

(١) عن بعض الشخصيات اليمنية الإباضية ، انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٢٤، ٢٢٥. البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٧٧ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص٢٣٣. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحسن بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٨٥م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م١، ص١٧٧، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، (د.ط).

(٢) أنظر: بداية هذا الفصل.

والذي سرعان ما استطاع أن يصبح مرجعاً للفتوى الإباضية بعد اختفاء سلمة بن سعد عن مسرح الأحداث[١].

ناهيك عن دور حملة العلم من البصرة إلى المغرب، فقد كانوا ذا مستوى علمي وفكري[٢] أهلهم أن يقودوا ثورات بعد ذلك ضد الدولة العباسية، وبعدها إعلان الإمامة الإباضية الأولى سنة ١٤٠هـ/٧٥٥م[٣]، والثانية سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م[٤]، وتأسيس دولة إباضية مستقلة عن الدولة العباسية، عرفت بالدولة الرستمية حتى قضي عليها من قبل الفاطميين، سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م[٥].

العامل الرابع: أهمية موقع جبل "نفوسة" في نشر الدعوة الإباضية:

يعد العامل الجغرافي التي تميز به المغرب العربي عاملاً مهماً في قيام الحركات الانفصالية عن الخلافة الأموية والعباسية. فموقعها الجغرافي غرب مصر؛ ساعد على نشر الدعوة الإباضية وغيرها من الدعوات مثل الدعوة العلوية

(١) الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٥.

(٢) انظر: الفصل المخصص لدور الإباضية في الحياة العلمية في المغرب.

(٣) أبو زكريا: سيرة الأئمة، ص٣٧-٤٦. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٧ - ٣١ "مخطوط". ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٢٢. الشماخي: السير، ج١، ص١١٥، ١٢٠.

(٤) تؤكد المصادر الإباضية، أن قيام الإمامة الثانية والتي من خلالها قامت الدولة الرستمية كان في نفس السنة التي قضت الدولة العباسية فيها على إمامة أبي الخطاب المعافري، أي في سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، إلا أن إعلان تلك الإمامة كان في سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، كما يذكر الشماخي الذي يعود ويقول: أنه بويع في سنة ١٦٢هـ/٧٧٩م. السير، ج١، ص١٢٤. أبو زكريا: سير الأئمة، ص٥٣. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٣٤ "مخطوط".

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٤٦. محمود إسماعيل: الحركات السرية، ص٢٤.

المتمثلة بدولة الأدارسة في المغرب الأقصى[١]، والدعوة الصفرية المتمثلة بدولة الصفرية بسجلماسة[٢]؛ وذلك لبعدها عن مركز الخلافة، إلى جانب الموقع الجغرافي. إذ نلاحظ أن جغرافية جبل "نفوسة" الذي اتخذه سلمة بن سعد مقراً لنشر الدعوة موفقاً من ناحية ارتفاعه؛ فقد عده الحميري[٣] بأنه من الجبال العالية، إذ يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أيام طولاً، ووصفه ياقوت الحموي بأنه[٤]: "من جبال المغرب بعد إفريقية العالية نحو ثلاثة أميال أو أقل من ذلك، وبه قبيلة يقال لها بنو زمور لهم حصن يقال له يترفت في غاية منعه لا يقدر عليه أحد، وفيه نحو ثلاثمائة قرية وعدة مدن". وبنو زمور بطن من قبائل نفوسة[٥]. ومن أهم مدنها شروس-سروس-في وسط الجبل وجادو[٦] من ناحية نفزاوة. ويكون جبل "نفوسة" مع جبل "غريان" شرقاً وجبل "دمر" شمالاً سلسلة جبلية في شكل نصف دائرة من جنوب قابس في تونس إلى لبدة في ليبيا، ويمتد مسافة مائتي كيلو متر طولاً، وعشرين كيلو متر عمقاً، ويزداد ارتفاعه عن الغرب ستمائة متر، وإلى الشرق ثمانمائة متر[٧]، ويعد جبل "دمر" من أهم مواطن الإباضية، ومن ناحية أخرى فإن اتصال جبل "نفوسة" بجبل "أوراس"

(١) محمود إسماعيل: الأدارسة (١٧١٢هـ/٣٧٥م، ص٣٧-٤٤، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر.

(٢) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٨٢-١٠٧.

(٣) الروض المعطار، ص٥٧٨.

(٤) معجم البلدان، ج٥، ص١٦٧.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٠.

(٦) انظر: ما كتب حول هاتين المدينتين في الفصل الثالث من الدراسة.

(٧) الغدامسي، صولة والشماخي: أبو العباس أحمد بن سعيد (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م): الحوار الإباضي المالكي، ص٣٨، ٣٩، "المحقق"، تحقيق/ العربي بن علي بن ثائر، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٩م، وزارة التراث والثقافة، مسقط-عمان.

في المغرب الأوسط، وجبال "الدرن" في المغرب الأقصى؛ ساعد على انتشار الدعوة الإباضية في هذه المناطق. فجبل "أوراس" عده بعض الجغرافيين[١] العرب من أهم معاقل الدعوة الإباضية، حتى ما بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد انتشرت الدعوة في تلمسان حتى أنها كانت من ضمن نفوذ الدولة الرستمية، إلى أن سيطر عليها الأدارسة سنة ١٧٣هـ/٣٧٦م.

ومن جهة أخرى يفصل جبل "نفوسة" ما بين طرابلس المدينة وبين الصحراء الجنوبية في فزان وما وراءها، وبهذا الشكل يصبح همزة وصل بين فزان وطرابلس وربما بالمغرب الأوسط باعتباره ذراعاً أوامتداداً لسلاسل جبال "درن" الذي يقع في المغرب الأقصى[٢].

وبهذا الموقع الهام استطاع موقع جبل "نفوسة" من أن يلعب دوراً هاماً في نشر الدعوة الإباضية فيما وراء الصحراء، ولهذا كان لها موقع في تجارة الصحراء والإشراف على بلاد السودان[٣]، إذ كانت الطرق المنطلقة من طرابلس تمر بجبل "نفوسة"، حيث تتفرع إلى اتجاهين: أولاً إلى كانم شرقاً، والثاني إلى

(١) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ج٢، ص٢٥٥. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ/١٢٧٤م): كتاب الجغرافية، ص١٤٥، تحقيق/ اسماعيل العربي، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، منشورات المكتب التجاري، بيروت – لبنان.

(٢) سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج١، ص٦٦.

(٣) يقصد ببلاد السودان المناطق الواقعة في حوض السنغال والنيجر. يسري عبدالزراق الجوهري: شمال أفريقية دراسة في الجغرافية التاريخية، ص١٨٢، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية – مصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٠م، (د.ط).

تادمكت (تادمكة) وغانة وتكرور ومالي غرباً. وقد لعبت المناطق الإباضية الصحراوية دوراً في نشر الدعوة الإباضية فيما وراء الصحراء[١]، وما يؤكد ذلك انتشار الدعوة في "أوداغست" أول بلاد السودان، وذلك عن طريق التجار الإباضيين[٢]النفوسيين من أمثال عمروس بن فتح النفوسي.

وبالإضافة إلى ذلك يتميز جبل نفوسة بغنى موارده الطبيعية، فقد كانت كثيرة الزرع مثل الكروم والشعير والتين، وقد ساعدها في ذلك المياه الجارية[٣]. لهذا عندما يتم محاصرتها لا تستسلم ولا يجبر أهلها على تخليهم عن مذهبهم وفتح مدينتهم للأعداء[٤].

وهناك سبب آخر جعل سلمة بن سعد أن يتخذ من جبل "نفوسة" مقراً لنشر الدعوة، لبعده عن المناطق الساحلية من المغرب؛ لأنه كما هو معروف أن ولاة المغرب كانوا يقومون بحملات ضد المناطق المقابلة لشواطئ المغرب، مثل الحملات على صقلية وسردينيا وغيرهما، وكذلك أي تواجد لنشاط يستهدف الخلافة؛ فإنه يتم القضاء عليه. وبما أن الإباضية بنظرهم تدعو إلى أفكار خارجية حاولت الخلافة الأموية استئصالها من المشرق، لذلك فإنه من الواجب القضاء عليها، لهذا تجنب سلمة بن سعد هذه المناطق. وهناك من يرى أن تجنب سلمة للمناطق الصحراوية، يعود إلى الصعوبة التي سيواجهها من قلة

(١) أحمد إلياس حسين: الإباضية في المغرب العربي، ص١٩، (د.ط) (د.ت) (د.د).

(٢) روبير، سورجك أعمال الندوة الدولية حول حركة المرابطين، ص١١٤، جامعة نواكشوط، نواكشوط-موريتانيا، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. يسري عبد الرزاق الجوهري: شمال إفريقية،ص١٧٤.

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٨.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٢٤ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص١٦، ٣٩.

المياه والغذاء[١]، وهذا غير صحيح؛ لأن الأقاليم الصحراوية من واحات مصر إلى واحات برقة إلى فزان إلى زويلة إلى وارجلان إلى سجلماسة إلى وادي درعة نحو الجنوب الغربي إلى جهة البحر غرباً، على الرغم من أنها امتداد صحراوي كبير، فإنها غنية بمنابع المياه والواحات منتشرة في أرجائها[٢]، إلا أنها صعبة المسلك في بعض تلك المناطق مثل زويلة[٣]. وعلى الرغم من ذلك فلقد استطاع التجار الإباضيون أن يكونوا زوايا خاصة بهم على امتداد هذه الواحات[٤]. ونرجح بأن عدم معرفته بالمنطقة جعله يتخذ من جبل "نفوسة" مقراً للدعوة.

ونستنتج مما سبق، أن اختيار سلمة بن سعد لجبل نفوسة مقراً للدعوة مهد لنشر الإباضية في أصقاع اقليم طرابلس، إذ لم يأتِ سنة ١٤٠هـ/٧٥٥م، إلا واستطاعت الإباضية أن تعلن عن إمامة أبي الخطاب المعافري، وقد انظمت تحت سيطرتها مناطق من خليج سرت إلى قابس-المغرب الأدنى-، وسرعان ما تشبع سكان المغرب الأوسط أيضاً بتعاليم الإباضية، وانضووا تحت إمامة المعافري مبايعين إياه بالإمامة. وبهذا أصبحت حدود انتشار الدعوة الإباضية

(١) علي يحيى معمر: الإباضية في تونس، ج٣، ص٢٢، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، دار الثقافة، بيروت-لبنان.

(٢) سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٢، ص٧٣.

(٣) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م): مسالك الممالك معمول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زايد أحمد بن سهل البلخي، ص٣٩، دار صادر، بيروت – لبنان، مطبعة بريل، ليدن،١٣٨٦هـ/١٩٣٧م، (د.ط).

(٤) محمد ناصر: دور الإباضية في نشر الإسلام بعرب إفريقيا، ص٣٢، مكتبة الضامري، مسقط-عمان، (د.ط)، (د.ت).

إقليم طرابلس والمغرب الأدنى وقسماً من المغرب الأوسط، وذلك في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

ولم تقتصر أهمية جبل "نفوسة" في بدايات انتشار الدعوة فحسب، بل ظلت تلعب دوراً مهماً في سياسة الإباضية الداخلية والخارجية، وذلك عن طريق الأحداث التي رافقت إباضية جبل "نفوسة" منذ عهد الدولة الرستمية، حتى فترة متأخرة، إذ لم يستطع الأغالبة والفاطميون بعد ذلك من السيطرة عليها؛ بل ظلت منطقة مستقلة عنهما. ففي عهد الأغالبة كانت تابعة مذهبياً وإدارياً للدولة الرستمية، أما بعد ذلك فقد أصبحت مستقلة عن الفاطميين بعد سقوط دولتهم(١).

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن أهمية جبل "نفوسة" مذهبياً جعلته قطباً علمياً ومعرفياً، فقد إشارت المؤلفات الإباضية بأهمية الإنتاج الفكري الذي شهده منذ دخول الإباضية إليه في أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي(٢).

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٢٤ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص١٦، ٣٩.

(٢) على الرغم من أن جبل نفوسه كان معقلاً للإباضية الوهبية، فإنه شهد ظهور المذهب السني فيه، وذلك عن طريق الزوايا السنية، إذ يعود أقدمها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، على الرغم من عدم إشارة المؤلفات الإباضية إلى ذلك، وذلك قد يكون بسبب عدم رغبتهم في إثارة النزاعات المذهبية، بالإضافة إلى رغبتهم في جعل جبل "نفوسة" مقر الدعوة ومنطقة تجمعهم، أو يفسر هذا الصمت على أنه دليل على ما ساد من العلاقات من طابع ود وحسن جوار بينهم [الغدامسي والشماخي: الحوار، ص٤١ "المحقق"].

أبا بالنسبة للقيروان فإن للعامل الجغرافي لجبل "نفوسة" دوراً في تأخر إعلان الثورة الإباضية فيها؛ وذلك بسبب قربها منها بالإضافة إلى أنها مركز الخلافة الأموية في المغرب. لهذا كان أي رد فعل من قبلهم سوف يؤدي إلى قمع ثوراتهم بسهولة [١]؛ لهذا كان انتشار دعوتهم من حيث السرية والكتمان والظهور مرتبط بالعامل الجغرافي، بالإضافة إلى العامل السياسي الذي لعب دوره بعد ذلك في تحديد مواطن انتشار الدعوة الإباضية، وهذا ما سوف نلاحظه في مناطق انتشارهم من أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

(١) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص٦٢.

obeikan.com